رؤى الإلحاد المعاصر للتماثل الصوتي في القرآن: دراسة نقدية في ضوء لسانيات النّص

م.د. علاء حازم محمد
مديرية تربية ذي قار

م.د. محمد جاسم حنون
جامعة ذي قار، كلية العلوم الإسلامية

Mohammed.Jassim.islqu@utq.edu.iq

الملخص:

يبقى الجدل بين الغيب والشهادة قائما إلى يوم غير معلوم، مادامت نقطة البحث تنطلق من رحم كل منهما ذاتياً؛ فيُبديان في مجالات صدقهما باستمرار، ومنها رؤى الالحاد المعاصر للسان النص القرآني، التي هي مدار السؤال الاشكالي للبحث؛ فجاء يحاكيها فيما يحتكم اليه من معايير فكرية اتفاقية في موردها، تُستعرض فيه الآراء ثم تخضع للتحكيم. وذلك في قسمين متلازمين: أحدهما يتمثل في عرض المفهومات العامة وما يتعلق بها من معطيات تنظيرية، فيتم عرض مفهوم النص ونصيته، ونصية القرآن، واللسانيات، وتحديد لغة النص القرآني. وثانيهما يتمثل في الاسئلة الاشكالية التي أثارها الإلحاد المعاصر تجاه القرآني الكريم في خصوص التماثل الصوتي وما يتعلق بها من ردود تحكيمية. ثم يُختتم- البحث- بما تُوصل اليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية: (النص، نصية النص، اللسانيات، لغة القرآن، التماثل الصوتي).

Visions of the contemporary atheism of vocal symmetry in the Qur'an is a critical study in the light of the linguistics of the text

Dr. Alaa Hazem Mohammed / Dhi Qar Education Directorate

Dr. Mohammed Jassim Hanoun / Dhi Qar University, College of Islamic Sciences

Abstract:

The controversy between the unseen and the testimony remains until an unknown day, as long as the research point starts from the wombs of each of them subjectively; they are in the fields of their sincerity constantly, including the visions of the contemporary atheism of the tongue of the Qur'anic text, which is the orbit of the

problematic question of research This is in two concomitant sections: one of them is the presentation of general concepts and related theoretical data, so the concept of the text and its text are presented, the text of the Qur'an, and the language of the Qur'anic text is determined. The second is represented in the problematic questions raised by the contemporary atheism towards the Holy Quran regarding the phonetic symmetry and related arbitration responses. Then he concludes – the research – with his findings.

Keywords: (Text, text text, linguistics, the language of the Quran, vocal symmetry).

المقدمة:

المؤاخذات الإلحادية على لسان النص القرآني تعود في جذورها إلى عدم الإيمان بالغيب، الأمر الذي يفرض المنهج العقلي المادي واستبعاد ما سواه. وهو ما دفع إلى اختيار الرؤى الإلحادية الناقدة للغة القرآن أن تكون مشكلة البحث في المقام، وتتمحور حولها الاسئلة الاشكالية المعنية في الاجابة. ومنها تتبين أهمية البحث الذي يُراد له أن يأخذ في موضوعه الاجابات الموجهة لتلك الاسئلة بعد تحليلها ونقدها؛ لبيان مورد الحق، أو الاشتباه والتوهم أو الجهل والاستئثار الفكري تجاه النص الكريم. لذلك اقتضت الدراسة أن تسلك المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة المعنية، ثم تحليلها نقديا ببيان وجوه الصواب إن وجدت، أو وجود الخطأ بدليل.

وقد جاء البحث على قسمين، تم في القسم الاول منه استعراض أهم المفهومات التي تشكل الاطار التنظيري للبحث؛ بدءاً بمفهومي (النص، ونصية النصية) اللذين يقعان وصفاً للقرآن الكريم، مروراً بمفهوم (اللسانيات) الذي يشكل مع النص حقل اللسانيات النصية، والذي تتم بموجبه معالجة مشكلة البحث. وانتهاءً بتحديد لغة النص القرآني التي تتشكل بها نصيته، وبما يعتريها من بعض التساؤلات التي تقتضي الإجابة لاستكمال تنقيح الجانب التصوري. وتم في القسم الثاني منه تنقيح شبهة التسجيع في النص القرآني مفهوماً وإجراءً؛ باستعراض موارد الاشكال اللغوي الالحادي والاجابة عنها وفق السياقات المعيارية، التي تقتضيها اللسانيات النصية. لذلك لم يُدرج مفهوم التماثل الصوتي في القسم

الاول، وإنَّما أُدرج في القسم الثاني التصديقي. ثم ختم البحث بأهم النتائج التي ترشحت من طبيعة الاستدلال ومناقشة الآراء.

القسم الأول:(المبادئ التصورية)

في هذه القسم الدراسة نسلط الأضواء على أهم الأفكار العامة التي تمثل محيطاً فكرياً للبحث، بكيفية اختيار الحدود، أو الرسوم، أو النتائج البحثية، التي وقع الاتفاق أو شبهه عليها، أو التي تم اجراءها ونجحت في موارد تطبيقية واسعة.

النص ونصيّته:

يستغني البحث عن المفهوم اللغوي للنص الذي يأتي بمعنى الرفع للشيء، أو إظهاره، أو منتهاه [١] كما يستغني عن المعنى الاصولي الذي يطلق على المعنى الواضح البين من الكلام الذي لا يُحتمل غيره، بخلاف المعنى الخفي [٢] ويستغني عن التعدد الحدي لمفهوم النص في اللسانيات النصية؛ بوصفه علماً متعدد الاختصاصات التي تنعكس على حديّته، ولذلك يقتصر على مفهوم معني، تراعى فيه شبه التوافقية، أو نجاح الاجراء عند تطبيقه على مختلف النصوص، بعد احراز كونه يتجاوز مفهوم الكلمة والجملة. من ذلك: ((إنَّ النص حدث اتصالي تتحقق نصيته اذا اجتمعت له سبعة معايير، هي الربط والتماسك والقصدية والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناص))[٣] ويزول بزوال تلك المعايير. والمعايير بالتفصيل هي: **(الاتساق)**: ويتطلب هذا المعيار الإجراء الشكلي لمكونات للنص بحيث يكون مسبوكاً، مترابطاً نسقياً في لفظه، أي: رصف للجمل والعبارات. **و(الانسجام)** يتطلب هذا المعيار الإجراء المفهومي للنص، بحيث يكون محبوكاً، متماسكاً دلالياً، مترابطاً فكرياً. و**(القصدية)** ويتطلب هذا المعيار تضمن النص التعبير عن هدف منشئه، ويظهر ذلك في لغة النص اتساقاً وانسجاماً. **و(المقبولية)** أي: أن يكون النص بوصفه صورة من صور اللغة ذا اتساق وانسجام، وهذا الوصف يرتبط بموقف متلقيه منه، بحيث يكون مقبولا عنده، بعيداً عن النقص والتشويه والقصور. **و(الموقفية)** أي: أن يكون النص محاكياً لمقتضى الحال، ومتطابقاً معه، فلابد أن يناسب

النص الموقف، ولابد أن يرتبط النص بموقف سائد يمكن استرجاعه. **(الإعلامية)** يتطلب هذا المعيار كون النص فيه تقديم معلومات للمتلقي خارج الاحتمال، فهي تكون عالية الدرجة بكثرة البدائل، والتركيز الفعلى على البديل الذي يخرج عن الاحتمال، أي: أن يكون النص ذا مضمون. **و(التناص)** أي: أنَّ النص له علاقة اقتباسية أو شبه اقتباسية – لفظية أو فكرية – داخل النص نفسه، أو مع نصوص أخرى ترتبط به [٤]. فهذه المعايير وضعت عرفاً لمعرفة النصوص، ولا تتطلب دراستنا التفصيل في كل معيار منها، بحيث يتم عرض آليات المعيار وتقنيات اجراءه؛ إذ موضوعها – الدراسة – ليس في طبيعة المعايير وحقيقتها النصية، إنّما يجري التعاطي معها في البيان بحسب الاقتضاء الذي تتطلبه الموارد الإجرائية في هذا البحث.

نصية القرآن:

المعايير النصية ليست حاكمة على القرآن، إنَّما مثلها مثل المعايير النحوية التي إن نجحت في اجراءها فيه، وتوافقت في تطبيقها معه يكون مورد جريانها وانطباقها ، وإن لم يكن لها ذلك فلابد من تعديلها أو تبديلها، فالقرآن غني في نصيته عنها، فهو في محكيه ومدونته وصف للنصّية، إذ هو من الثوابت العقلية والنقلية والوجدانية في وجوده الربوبي، بوصفه صادراً من الله العظيم، موجهاً إلى الناس –المتلقي –، يمثل رسالة هداية، مكتفياً بذاته نصياً بوصفه جسداً لسانياً مكتملا في دلالته، ومنغلقاً على نفسه، أي: له بداية وله نهاية يتمثل في كلٍ، يتجاوز الكلمة والجملة، قابلا للإدراك والفهم والتأويل، يمكن تحليله صوتياً وتركيبياً ودلالياً وتداولياً، فالنصية ظاهرة فيه بداهة. وما المعايير النصية الا إجراءات تطبيقية في محكيه ومدونته. فهو متسق في شكله اللفظي سواء أُخذ ترتيبه المتعارف، أو بحسب سبب نزوله؛ وما التفاسير المصنفة في المجالين إلا شاهد على بيان اتساق وحداته اللغوية المتعالقة، فمنها ما يتمثل بإحالات داخلية وخارجية، وإحالات قلبية وبعدية. ومنها ما يتمثل باستبدالات اسمية وفعلية وقولية تحمل مدلولا متوافقاً أو مترادفاً تتعاقب فيه. ومنها ما يتمثل بالترابط العطفي، ومنها ما يتمثل بتكرار مفرده بورود مرادفه، أو يتعالق معه بالتضام تضاداً أو تنافراً أو غيرهما، مما

يمكن أن يدخل في علاقتهما. ومنها ما يتمثل في الصوتيات عبر الفواصل أو الجناسات أو التوازيات. وهو منسجم في بناءه الدلالي والفكري والمنطقي، فيتمثل فيه السياق بقسميه: اللغوي وغير اللغوي، والتأويل، والبنى الكلية، والزمن الصرفي والنحوي والنصي، والعلاقات الدلالية، والترتيب النصي، والعنونة.

والقرآن فيه قصدية وهدف إذ هو كتاب هداية. وفيه مقبولية فهو رسالة من الله إلى عبده، لا فيها تشويه، أو نقص، بحيث يكون غير مقبول من المرل اليه. وفيه موقفية فهو مطابق لمقتضى حال متلقيه. وفيه إعلامية عالية الدرجات إذ فيه من الاخبار ما لم تكن محتملة عند متلقيه. وفيه تناص معنوي مع الكتب السماوية السابقة له.

فالمعايير النصية بديهية التطبيق في النص القرآني، ولا تحتاج إلى مؤنة، إلا شي من تلاوته، وصرف النظر إلى مواردها فيه لمن يمتلك معرفة نصية، لذلك أحجمنا عن ابداء الشواهد فيها. فضلا عن ذلك فإنَّ عدد الدراسات النصية للقرآن كثيرة جداً خصوصاً في البحث اللساني العربي الاكاديمي فيمكن الرجوع اليها، وفضلا عن مئات التفاسير التي تمثل في جملتها تحليلا نصياً للقرآن بحسب المعايير النصية المتعارفة.

وعليه نقتصر على النموذج الاتي للتطبيق الانتقائي للمعايير النصية: {بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر، وما ادراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر، سلام هي حتى مطلع الفجر} [القدر : ١-٥] فالخطوة الاولى تقطيع النص على خمسة مقاطع واضحة حسب الآيات، بعدها يمكن الشروع بتطبيق موضع جودة النص، وموضع الفاعلية والملاءمة. ففي موضع الجودة استعملت: (الموازاة بين الجمل، وقصر المنطوقات، وتكرار لفظة ليلة القدر للتعظيم بها)، والفعل (انزلناه) و(تنزل). اما في موضع الفاعلية فتحقق التأثير في المتلقي من خلال المنطوقات ذات الأشكال المرتفعة، مثل: فجوات الفاعل. اما عند البحث عن

الفاعل فيتم خفض المنزلة الاعلامية وارتفاعها في الفعل (انزلناه) وفي موضع الملاءمة يتحقق ذلك لان النص متسق ومنسجم، ويمكن تظهيره بالتوضيح الاتي:(٥)

١-**(الاتساق)** ويكمن في استعراض الشبكة الانتقالية القواعدية للنص، فكلمة (إنَّا) تفرض على القارئ البحث عن الفاعل في الضمير (نا) الذي يعود ظاهراً إلى الله، الذي يتوقعه القارئ فعلا، وبطبيعة الحال يجد الجملة الفعلية (انزلناه) ويتكرر في الجملة ضمير الفاعل (نا) لكنه يجد المفعول به الضمير (هاء) حيث يتم خفظ المنزلة الإعلامية في البحث عن ضمير(نا). فيجد بعدها شبه جملة تتعلق بالفعل (في ليلة القدر) لكن المضاف اليه (القدر) يمثل شيئا جديدا. فـ(ليلة القدر) لم تذكر في كل ما تقدم من سور القرآن مما يؤشر على رفع المنزلة الاعلامية. وحين لا تجدي الإحالة القبلية وحدها؛ تطلب الامر الإحالة البعدية تكرار ليلة القدر في الآيتين الثانية والثالثة، ليجد جملة جديدة مسبوقة بحرف استئناف (و)، و(ما) اسم استفهام بعدها الخبر جملة (ادراك)، إذ الفاعل مستتر والمفعول به ضمير. ثم يجد (ما ليلة القدر) ثم جملة اسمية (ليلة القدر خير). مع تكرار لفظة (ليلة) في هذه السور السورة ثلاث مرات موزعة بين احالات قبلية وبعدية (٦).

٢-**(الانسجام)** ويكمن في المعادل المعرفي للنص معرفة مختزلة في ذهن القارئ، فلفظ الجلالة (الله) معروف لدى القارئ عند قراءة (إنَّا)، والفعل (انزلنا) قد تكرر في القرآن (٢٥) مرة مما يساعد في معرفته داخل سياق النص، إلا إنَّ ليلة القدر غير مذكورة لفظاً في جميع السور السابقة واللاحقة؛ مما يستدعي العودة إلى السياق الداخلي للنص القرآني لمعرفتها، كما في قوله: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان : ٣]، أو العودة إلى السياق الخارجي للنص، الذي يمكن ان يتمثل في الحديث الشريف وكتب التفسير. فمفاهيم السورة مترابطة ومتصلة بعقدة (انزلناه في ليلة القدر) مما يدلل على أنَّ هذه العقدة تمثل مركز التحكم في النص، وترتبط بها الشبكة المفهومية التي تمثل المحيط البنائي الفكري لنسج النص (٧).

٣- **(القصدية)** فقد ظهر في قصر الجمل وتتابعها في النص، على نحو سريع بهدف إبلاغ رسالة إلى المستقبل، مؤداها تبيان شأن وعظمة (ليلة القدر) التي انزل فيها القرآن، فقال (وما ادراك ما ليلة القدر) ولم يقل : ما ادراك ما هي؟ تعظيما لها. و(خير من الف شهر) و(تنزل الملائكة والروح فيها) و(سلام هي حتى مطلع) كلها استكمال لوصف تلك الليلة وتبيان عظمة منزلتها [٨].

(المقبولية) تقبل النص يكمن في حقيقة: أنَّ نزول القرآن في ليلة عظيمة، وتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم، ولا يمكن أن يتم هذا الامر الا من عند الله، لذلك يسهل على المتلقي استيعاب النص، لكنه يحتاج في معرفة (ليلة القدر) إلى الرجوع إلى السياق الداخلي، او الخارجي لمعرفة تفاصيل هذه الليلة [٩].

(الموقفية) ويبرز هذا المعيار في النص بثلاثة مواقف متوازية: الاول انزال القرآن في ليلة القدر، والثاني يعرض عظمة تلك الليلة (وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر)، والثالث وصف الاحداث التي تجري فيها (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من لي امر سلام هي حتى مطلع الفجر) وهو كلام موجه لبني البشر؛ بغية مراقبة تلك الليلة وتقصيها، واستثمارها في العبادة وطاعة الخالق. لقد اقتضت الموقفية أن تكون الجمل قصيرة متلاحقة، وسريعة، لتحقيق وحسم الامر [١٠].

(التناص) هذا المعيار يظهر في كون النص قرآنياً، وقد توازى مع الجمل والفواصل والايقاع والتكرار في النص القرآني عموماً، اذ وردت كلمة (انزلنا) ٢٥ مرة، وكلمة (ما ادراك) ١٣ مرة. فهنالك آيات مماثلة لبعض آيات السورة، كما في قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة : ١٨٥] وقوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء : ١٠٥] وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت : ٥١] وقوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر : ٢] وقوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان : ٣] .

فلفظ (تنزل) قد ورد سبع مرات، ولفظ(الملائكة) التي وردت ٣٨ مرة في القرآن ، ولفظ (الروح) وردت خمس مرات. فهذا الورود التناصي يثير معرفة عند قارئ النص القرآني بشكل واضح عن ليلة القدر(١١).

(الاعلامية) هذا المعيار يتجلى في قصر الجمل في السورة، وتشابه بنيتها، الذي ساعد في تخزين عالي الدرجة لذاكرة القارئ، وقد أحدثت إنَّ واسمها في بداية السورة (إنَّا) فجوة إعلامية جراء فقدان عائدية الضمير، وكذلك المفعول به (الهاء) والمجرور في (فيها) والمبتدأ المؤخر (هي). ثم يقول الحق: (ليلة القدر) وهي حالة إعلامية مرتفعة تدفع القارئ إلى استرجاع ما لديه من معلومات عن ليلة القدر، وبذلك ينكشف الغموض عبر الاحالات. فلو بدأت السورة كالاتي: انزل الله القرآن لما كانت الاعلامية مرتفعة. وقد جاء تكرار (ليلة القدر) في الآيتين الثانية والثالثة ليمثل حالة إعلامية غير مرتفعة، وفي (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر) حافظت على اعلامية مرتفعة. اما في (سلام هي حتى مطلع الفجر) فتبين عناية الله ورحمته لعباده المقبلين عليه في تلك الليلة المباركة، وغلق باب النقمة. وهي بحاجة إلى معالجة من مستقبل النص بالعودة إلى النص السابق (خير من الف شهر). لكن القارئ يفاجأ عند انتهاء السورة بعدم وجود تعيين زمني لتلك الليلة، وهو ما يرفع درجة الاعلامية في استمرارية الحدث؛ ليتجه الذهن إلى تلمس موعد حدوثها طيلة أيام ما بعد النصف شهر رمضان (١٢) عناية الله ورحمته لعباده المقبلين عليه في تلك الليلة المباركة، وغلق باب النقمة. وهي بحاجة إلى معالجة من مستقبل النص بالعودة إلى النص السابق (خير من الف شهر). لكن القارئ يفاجأ عند انتهاء السورة بعدم وجود تعيين زمني لتلك الليلة، وهو ما يرفع درجة الاعلامية في استمرارية الحدث؛ ليتجه الذهن إلى تلمس موعد حدوثها طيلة أيام ما بعد النصف شهر رمضان (١٢).

اللسانيات المفهوم والخصائص:

اللسانيات علم يدرس ((اللغة الإنسانية، دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزعات التعليمية والاحكام المعيارية)) [١٣] فيحلل اللغات البشرية بطريقة علمية، ليبين معرفة درجة التشابه والتضارب فيما بينها، بالإضافة إلى معرفة إيجابيات اللغات الإنسانية أو سلبياتها، ضمن ضوابط يتبعها علم اللسانيات الحديثة، بعيد عن مؤثرات الزمن والتاريخ والعرق[١٤] أي : دراسة اللغات بشكل عام. وموضوع اللسانيات:((النشاط اللغوي للإنسان في الحاضر والماضي... واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة)) [١٥] ومن المشهور أنَّ العالم دي سوسير هو أول من بحث ونظر في مفهوم اللسانيات الحديثة، حينما ألقى محاضرات في علم اللغة العام، فكانت هذه البدايات لبروز هذا العلم .

ومن خصائص هذا العلم بشكل اجمالي: استقلاليته عن غيره من العلوم، ودراسة اللغة المنطوقة والمكتوبة، والعناية باللهجات، وبناء نظرية عامة تدرس اللغات عموما، والنظر إلى اللغة بوصفها كلا موحداً، وتحليل اللغات وفق مستويات صوتية وصرفية ودلالية ونحوية، ودراسة اللغات دراسة حسية استقرائية وصفية، وتسخير التقنيات المساعدة في كشف المظاهر اللغوية، وتقنين الأنظمة التي تتطلبها الظواهر اللغوية. والقيام بدراسة اللغة في ذاتها، ولأجل ذاتها [١٦] وعليه فعلم اللسانيات يدرس ((اللغة أو اللهجة دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها، وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، وتربطها بالظواهر النفسية، وبالمجتمع والبيئة الجغرافية)) [١٧] فعلم الصوت يدرس أصوات اللغة، وتحليل خصائصها الفيزيائية، ودراسة مخارج الحروف، وصفاتها الصوتية. وعلم الصرف يدرس تكوين الكلمة وعلاقتها بما يناسبها من الكلمات في لغة موحدة، ويهتم بالدرجة الاساس ببنية الكلمة. وعلم النحو يهتم بالتقنين القواعدي العام للغة التي تنظم كلام النص، والكلمات التي تكون جمله، وتعالقها مع بعضها، ويهتم بالجمل ومعرفتها ونوعها في النص. وعلم الدلالة يهتم بمعاني الكلمات، وتراكيب الكلام في اللغة، ويفسر الكيفية لعلاقة الكلمات مع بعضها، للتوصل إلى فكرة

صاحب النص والمعاني العامة والخاصة. وعلم الأسلوب يهتم بالوحدات اللغوية، عبر تقنيات البلاغة والنقد، للتوصل إلى مراد النص. فمن البيان المفهومي للنص ومعاييره، ومن النموذج التطبيقي المتقدم للمعايير النصية، ومن مفهوم اللسانيات وخصائصها، ومن كون علم النص* هو أحد الفروع العلمية للسانيات، الذي يطلق عليه في العرف اللساني بلسانيات النص، أو اللسانيات النصية، أو علم اللغة النصي، من هذا البيان نتوصل إلى أنَّ لسانيات النص بوصفها إجراءات لغوية علمية يمكن أن تطبق على القرآن الكريم بوصفه نصاً يقبل تلك التقنيات الإجرائية لهذه المعرفة اللغوية، فلا يحتاج الامر مزيد من الاستدلال.

لسان النص القرآني:

ثمة بعض الأسئلة حول عربية النص القرآني يمكن أن تُقال، مفادها *: أنَّ المراد من العربية في الآيات والروايات هو الابانة والوضوح ليس إلا؟ وأنَّها خصت بالنزول على افتراضه دون سواها؟. وإنَّ تدوين القرآن بها لا يمنحها أن تكون هي اللغة الوحيدة الرسمية له بوصفه كتاباً للناس كافة حسب الفرض؟. وأنَّه يختلف في مفرداته وتراكيبه وأساليبه عنها، فهي لغة لها جانب استعمالي شفاهي، وجانب تقعيدي تعليمي؟. ويوجد اختلاف في نزوله بأي لهجة نزل من اللهجات العربية؟، الامر الذي يجعل من القائل بعربيته في حيرة من أمره. وأنَّه متأخر عنها زمانا؟. وأنَّها لا تستوعبه في فكره؟. فبعض هذه التساؤلات وغيرها مما يمكن أن تقال يتنزل بها المعترض جدلاً على الحجاج في لغة القرآن؛ إذ هو قد لا يقبله أصلاً.

١-عربية القرآن الابانة والوضوح:

العربية تعني الوضوح والابانة والفصاحة، يقال: ((أعرب الرجل عن نفسه، إذا بين وأوضح... فأما الامة التي تسمى العرب فليس ببعيد أن يكون سميت عرباً لانَّ لسانها أعرب الالسنة، وبيانها أجود البيان. وأعرب الرجل، إذا أفصح القول)) [١٨] وبهذا الوصف تعني مفردة عربي في القرآن الابانة والوضوح والفصاحة، ويتفق هذا المفاد مع ظاهر بعض الروايات، فقد ورد أنَّه قيل للنبي: ((يا رسول

الله ما أفصحك! وما رأينا الذي هو أفصح منك. فقال: وما يمنعني من ذلك وبلساني نزل القرآن، بلسان عربي مبين)) [١٩] وورد أنَّه (ص) قال: ((أنا أعربكم، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر)) [٢٠]. في الحقيقة إنَّ العربية بمعنى الابانة والايضاح هي فرد من معنى (العربي) الذي وقع وصفاً للسان الذي نزل به القرآن. وموقعه من المعنى الاخر، أي: عربية القرآن موقع طولي، فلا تنافي بينمها، بل إنَّ معنى الابانة والايضاح مكنون في اللسان العربي، فهو بيّن واضح كما شهد به المعنى اللغوي، ولهذا يكون معنى (بلسان عربي) أي: باللفظ العربي (اللغة العربية) ذي الوصف الواضح، فالقرآن عربي في لفظه، اللفظ الواضح البيّن دون غيره من الالسن. وهو ما شهد به القرآن، وأثبته للسان العربي بالدليل اللفظي: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف : ٢] و{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف : ٣] فلو أُريد الابانة والوضوح حصراً لكان من الحكمة اللغوية توظيف ملفوظ غير العربي كما في قوله: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ} [الحجر : ١] واستغنى عن (العربي) الذي يقتضيه المعجم اللغوي القرآني في الملاءمة والتوافق بين لغة القرآن وبين لسان الخاتم (ص) وبيئته. وهو ما يمكن أن يعد دليلا عملياً مرتبطاً بقراءة القرآن وتدوينة وتلاوته حين نزوله على الخاتم (ص) حتى يومنا.

وهذا يجري أيضاً في احتمال إطلاق العام (لفظ عربي) وإرادة الخاص (الابانة والوضوح). فالقرائن لا تساعد في الجزم بترجيح مورد الإرادة. وعليه فلو أخذنا وصف الابانة والوضوح لمفردة العربي في القرآن موضوعاً للسؤال الاشكالي، واستبعدنا معنى اللسان العربي، لكان مورد الاخذ هو المستبعد؛ إذ وصف العربي بمعنى العربية للآيات والروايات والعرف والاجماع والشهرة والتأريخ أوفق، وللتبادر أسبق. فالقول بعربية اللسان القرآني الواضح البيِّن الوعاء المبيِّن ألصق بالحق، فالبيِّن يتجلى في المبيِّن.

العربية موضع الخصوص للنزول القرآني:

أما لماذا خُصت العربية دون سواها من الالسن في النزول القرآني؟ فهذا شأن ربوبي: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف : ٢] و: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف : ٣]؛ ولكون النبي (ص) وقومه الذين مثَّلوا مهاد الانطلاق للرسالة من العرب ذي اللسان العربي: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم : ٤]. إلا أنَّ الامر لا يُستبعد من الحكمة أن تكون خصائص العربية موضع الاختيار، فهي طيعة يسيرة في الأداء: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مريم : ٩٧] و{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان : ٥٨] وهي بيّنة مبيّنة واضحة موضِحة: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل : ١٠٣] و: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [فصلت : ٤٤] وهي لغة العقل والتعقل: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف : ٢] و: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ} [الزخرف : ٣] وهي لغة علم لمن كشف أسرارها: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت : ٣] وهي لغة التأثير والاقناع في أداء وظيفة الإنذار: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ } [الشورى : ٧] و: {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا } [الأحقاف : ١٢] فهذه الخصائص وغيرها مما ذكرها أهل المعرفة اللغوية، والمتخصصون بعمقها، قد لُمست وشاعت وظهرت في الكلام العربي نثرا وشعراً، يكفيك أن تنظر في النثر لكبّار العرب وحكمائها، وتنظر في الشعر المنظوم لفحول الشعراء العرب، فلولا العربية لخفي الكثير من المعنى قياساً لو كتبت بغيرها*. فهي وعاء لساني يتميز عن غيره بخصائص متعالية.

العربية موضع نزول القرآن وتدوينه رغم عالميته:

إنَّ نزول القرآن وتدوينه وإن حصل بالعربية إلا أنَّ هذا لا يمنحها أن تكون هي اللغة الوحيدة الرسمية له بوصفه كتاباً للناس كافة؟ فالرسول الاكرم (ص) بُعث للناس كافة: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ : ٢٨] ورسالته العامة القرآن: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ

أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ} [الأنعام : ١٩] الذي يمثل رسالة الهدى للناس: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيه الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة : ١٨٥] وفي جواب هذا التساؤل نقول: أنَّ القران نزل على نبي عربي، حاكى لسانه، وناغم بيئته: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم : ٤]، وهذا شأن عرفي في الرسالات كافة، وهو من المسلمات التأريخية. لكن ثمة ميزة لبعض الرسالات تميزها عن غيرها، وهي وصفها بتجاوز الزمان والمكان، وهو وصف ثابت للدين الإسلامي: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ : ٢٨] و{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء : ١٠٧] و {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف : ١٥٨]. ومن المعلوم أنَّ لغة نزول الدين المعني تبقى مرافقة له، وحيوية بحياته، فهو ينعكس في ظله عليها. وهذا ما شهد به تأريخ الدين الإسلامي، منذ نزول القرآن، الامر الذي جعل من العربية أن تحتكم له في الاسناد والتقعيد والدلالات، بل كل ما يحييها، فهي جسده وهو روحها.

ثم إنَّ اللغة في اتساعها تعتمد على عوامل اتساع، ومن أهم وأفضل العوامل هو العامل الديني، وهو الامر الذي حدث مع العربية في التوسع الإسلامي الديني في الفتوحات الإسلامية، التي جعلت من الاعجمين أن يتعلموا العربية ويفضلونها؛ لكونها لغة دينهم، التي من المفترض تعلمها؛ لمعرفة التعاليم الدينية وتطبيقها، كما حصل ذلك في إيران وبلاد الاندلس وغيرهما من البلدان التي وصل اليها الإسلام. فالقرآن بوصفه كتابَ الرسالة الإسلامية يضمن للعربية أن تكون اللغة الرسمية الناطقة به. وهذا لا يعني أنَّ القرآن عربي في فكره ومصداقه، إنما هو عربي في الالفاظ ودلالاتها، التي تطابقت في النزول معه، وأصبح هو حاكم عليها. فهو كتاب للناس كافة، له مرحلة النزول الزماني والمكاني التي حصلت في حينها في مكة والمدينة؛ والتي اقتضت أن تكون باللسان العربي كما هو ثابت، فهي

المرحلة التمهيدية لانطلاق عالمية الإسلام القرآني، ثم تلت ذلك مرحلة الدعوة والقبول، ثم مرحلة الانفتاح والتوسع، ثم مرحلة الفتوحات والانتشار، ثم مرحلة الثبات والاستمرار. فالقرآن عربي اللسان، عالمي الفكر والمصداق، يُثِّمل لغات الناس وألسنتها كافة في الفكر والمصداق. نعم العربية بفضله يمكن أن تكون لغة العالم أجمع لو كتب لها هذا الفضل في يوم ما، ولا يعني ذلك إلغاء اللغات الأخرى الخاصة القومية، إنَّما العربية – بحسب هذا الافتراض الممكن الوقوع – تمثل اللغة العامة؛ وبذلك يمكن أن تكون للناس كافة، وهذا الامر ممكن حصوله بشكل تطوري بطيء، يخضع لعوامل تتعلق بنماء اللغة، خصوصا مع السند القرآني، الذي لولا الصراعات الدينية والسياسية لعجَّل بوقوع عولمة اللغة العربية.

لغة القرآن شفاهية لا تقعيدية:

يختلف القرآن عن العربية فهو في لغته شفوي تخاطبي النزول، في حين أنَّ العربية قبله وحين نزوله خطابية في الغالب، تدوينية كتابية شيئاً قليلا، تقعيدية بعده، فكيف يتم الحكم على اثبات عربية القرآن؟ وبأي جانب منهما ممكن أن تجسده؟ لا شك في أنَّ العربية سابقة على القرآن، وأنَّها قبله شفوية تخاطبية إجمالا، لا تقعيدية إلا بعده، إنَّما تقعيدها حصل متأخراً عنه، وبذلك صح ما قيل: ((ليس بين أيدينا أي دليل مادي على أنَّ الجاهليين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ اشعارهم. ربما كتبوا بها بعض قطع أو بعض قصائد، ولكنهم لم يتحولوا من ذلك إلى استخدامها اداة في نقل دواوينهم إلى الاجيال التالية، فقد كانت وسائلها الصعبة من الحجارة والجلود والعظام وسعف النخل تجعل من العسير أن يتداولها الشعراء في حفظ دواوينهم، وإنَّما حدث ذلك في الاسلام بفضل القرآن الكريم، وما أشاعه من كتابة آياته، وتحول جمهور العرب معه من أُميتهم الكبيرة إلى قارئين يتلون. ولا نكاد نمضي طويلا في العصر الاسلامي حتى تتحول العربية من لغة مسموعة فحسب إلى لغة مسموعة مكتوبة... وكل ما بين أيدينا من روايات عن كتابة بعض الاشعار في الجاهلية إنَّما يدل على أنَّ الكتابة كانت معروفة، وخاصة في البيئات الاخذة بشي من الحضارة، ونقصد المدن مثل مكة والمدينة

والحيرة)) [٢١]. وهذا لا يعني أنَّها غريبة عنه في كيانها. فالعربية في شفويتها تتفق مع القرآن بوصفه نازلا بها، وفي تدوينها كذلك فلم يكتب ويدون إلا بها، لكنَّ كتابيتها أخذت فعليتها بعد نزوله، لا قبله ولا حينه.

وفي تقعيدها تتفق معه اتفاقاً يكاد أن يكون كلياً؛ واستبعاد القول بالكلية نابع من خضوع التقعيد للاجتهاد الذي يقتضي الاختلاف والتفاوت في القواعد التي تقبل الاختلاف، علماً أنّ الاختلاف والتفاوت المعني لا يصل إلى حد التقاطع فيما بين القواعد التي أنشأها البحث اللغوي، فهو اختلاف شكلي لا جوهري، يتعلق بالتسميات وبعض الإجراءات، ومع هذا فالقواعد جميعها تتوافق مع القرآن في تطبيقها عليه، إلا ما شذ وندر، والشاذ والنادر هو أيضاً يخضع عادة إلى التعديل بحيث يتوافق في التطبيق مع القرآن. فهي – القواعد – مستنبطة منه في الرتبة الاجتهادية الأولى، وهذا يمنح رأي التغليب في القول بموافقتها.

أما القواعد اللغوية المتفق عليها، التي تمثل الكم الأكبر والغالب الذي يعين في الاستدلال على التوافق فهي انتزعت من الكتاب الكريم في الأساس، ثم من كلام العرب. إذ إنَّ إنشاء القواعد اللغوية جاء في الاساس ليعالج اللحن الذي كاد أن يقع في لسان الناس عند قراءة الكتاب الكريم، ثم ليعالج كلام العرب من الفساد اللحني. فقد ورد شهرة، ويكاد الاجماع عليه، ويؤيده العقل السليم المتنور بالقلب السليم أنَّ علي بن ابي طالب (ع) قد وضع النحو وأمر أبا الأسود بإتمامه[٢٢]، للسببين المتقدمين.

تخالف لغة قوم الرسول المبعوث مع لغة الكتاب النازل عليه:

ليس من المستحيل تصور إمكانية نزول القرآن بغير العربية، وتحدث الرسول (ص) بالعربية مع قومه، الذي يعود إلى عدم الاستحالة عقلاً أن تكون الكتب السماوية تنزل بلغة يفهمها الرسل ثم يكلمون أقوامهم باللغة المشتركة معهم، بحيث يكون من قبيل الترجمة، أو من قبيل التركيز على الفكر النازل وتفهيمه، فلا ملازمة عقلية حتمية بين لغة الكتاب النازل ولغة قوم الرسول المبعوث. كما يحصل في ترجمة بعض الكتب إلى لغات أو تفهيم أفكارها إلى الناطقين بغر لغتها. فهذا وأن أمكن

عقلا، ولم يستحل في حد ذاته؛ إلا أنَّه لم يقع فعلاً مع القرآن والرسول (ص) واللسان العربي. بل العكس هو الذي حصل، والأدلة السابقة التي تثبت عربية القرآن ونزوله بلسان الرسول (ص) العربي تقف في الضد من الإمكان الوقوعي، بل لو قيل بوقوعه مع القرآن والرسول وقومه للزم منه الكثير من الضياع للفكر القرآني الذي اتخذ من اللسان العربي وعاءً له، وأقل ما يحصل من ذلك وقوع الاشكاليات التي تحدث في ترجمة النصوص. فضلاً عن ذلك فإنَّ القرآن قد وردت في ضرورة تلاوته وقراءته آيات وأحاديث كثيرة، بل إنَّ التشريع الإسلامي يفرض في بعض العبادات أن يُقرأ القرآن بالعربية فيها بوصفه شرطاً في تحقيقها، ولا تصح بحلول لغة أُخرى محلها إلا مع التعذر. وهذا يعني الاستمرارية في التساوق بينهما. نعم القول بعربية القرآن لا يضر أن يترجم إلى لغات أخرى، أو يتم تفهيم فكره بلسان مبلغين بغير اللسان العربي، لكن هذا مهما كان فيه من قوة نقل للفكر لا يغني عن نقل الفكر القرآني بلغته النازل بها، والتجربة قد شهدت بذلك عند أهل العلم والمعرفة المتمرسين، ولا يسع المقام لنقل تلك التجارب.

تحديد لغة القرآن:

هل يوجد اختلاف في نزول القرآن بأي لهجة نزل من اللهجات العربية؟، الامر الذي يجعل من القائل بعربيته في حيرة من أمره. وأنَّه متأخر عنها زمانا؟ القرآن نزل بلسان العرب، والعرب ليست على لهجة واحدة، لكنَّها تتفق على لغة واحدة تقف اللهجات المتعددة منها على مسافة واحدة، وثمة أكثر من رأي في أي اللهجات تمثل اللغة الرسمية التي نزل بها القرآن، هل هي لهجة قريش؟ أو لهجة أخرى غيرها؟، أو اللهجات جميعاً؟، أو لهجات محددة؟ *. الكلام في هذا المجال يخرج عن غرض البحث، فالنقاش فيه طويل. إلا أنَّ الرأي المعقول والاقرب إلى الوجدان هو القول بلهجة قريش على التغليب لا الحصر، بحيث يشمل بعض اللهجات العربية الأخرى التي تتمتع بالفصاحة. فتكون لهجة قريش هي الغالبة؛ لكونها اللهجة المتوافقة إجمالاً مع لهجات العرب؛ ولكون الرسول (ص) من قريش قومه الأصل عند نزول القرآن: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ} [إبراهيم : ٤]، وللقول المروي

عنه (ص): ((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش))[٢٣]. وهذا لا يعني حصر لغة القرآن في لهجة قريش، فالقرآن نزل بلسان عربي، ولم يقيد بأي لهجة نزل: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء : ١٩٥]. ولعل العامل الاجتماعي والاقتصادي والديني والادبي الذي تتمتع به قريش قبل نزول القرآن قد ساعد في أن تكون لهجتها اللهجة الأقرب في الموافقة للغة العرب المشتركة؛ هذا فضلاً عن شرفية بني هاشم لقريش، المشهود بفصاحتهم وبلاغتهم.

تباين القرآن عن العربية:

مما لا شك فيه أنَّ العربية لا تمثل القرآن حصراً في الفكر، فهو للناس كافة وللعالمين، وهي تتوافق معه في اللفظ والدلالة. والتوافق من جهتها، إذ هو نزل بها، لكنَّه أضاف اليها في الكيفيات الاستعمالية الافرادية والتركيبية، وأضاف اليها في الكيفيات الدلالية، وهذا الامر يحاكي شأن المسلك الاعجازي الذي يقتضي في العادة أن ينطلق من موضوع المعجزة، ثم يأتي بما هو غير متوقع أن يؤتى به، كما حصل مع عصا موسى (ع) وحبال السحرة، وتأويل يوسف (ع) للرؤى مع المعبرين، ولعل هذا هو سر الاعجاز في ابهات جمهور المعجزة. فكتاب الله معجزة الخاتم (ص) قد انطلق من العربية وسار معها في لفظها ودلالتها، لكنَّه جاء بما لا يستطيع حكمائها وفحولها أن يأتوا بمثله في البنية والمعنى، واللفظ والدلالة والأسلوب *، بل اجتاز إلى إقرار لها ما يعد فيها ما هو ليس منها، من القول بتأثرها بغيرها من الالسن، كما في الدخيل والغريب أو غيرهما من المفردات والتراكيب والاساليب؛ بالوصف الكلي لها، أو بالوصف التغليبي عليها؛ إذ قال: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء : ١٩٥]، وأيضاً أسهم في الحاكمية عليها في التقعيد والاجتهاد، وبعث فيها وفي مكوناتها الحياة الدائمة لكنَّه يبقى بائناً عنها في خصائصه التميزية في البناء والمعنى والاستعمال الخاص، حتى يأتي اليوم الذي تستطيع أن تحاكي موجه العالي؛ على يد حكيم فذ عليم خبير فيها وفي الكتاب الكريم؛ ليأخذ بيدها اليه – الكتاب – بشكل لا يعتريه النقص في التمثيل والمحاكاة. ولعل منشأ عدم لحاقها به في

التوافق معه بشكل تام يعود إلى تقصير حكمائها وفقهائها، أو قصورهم في الاجتهاد بها بحيث تلحق به، مما أدى إلى فتح الأفواه بالنقد والسخرية النابعين من التوهم أو الجهل تجاه اللسان القرآني.

المعجم القرآني:

المنتج الكلامي هو أثر لمنتجه بالضرورة، ويخضع لأرادته وقصديته، في كليته وجزئيته، وفي وحداته اللغوية وفي نسيجه اللغوي، وفي بنياته الدلالية الكبرى والصغرى، وفي أغراضه وغاياته، وفي سياقه وفي مرجعياته، وفي ظاهره وفي باطنه، بل في شؤونه ومتعلقاته جميعاً. وبذلك ظهرت معجمات خاصة تتعلق ببعض الشخصيات المعرفية. فمثلا نجد معجم مصطلحات ابن سينا، أو معجم مصطلحات كانت، إذ نلحظ فيهما كيفية الأداء اللغوي للشخصية المعرفية، وخصوصية الاستعمال اللغوي لمنتجها الكلامي، وطبيعة التوظيف الخاص للوحدات اللغوية افراداً وتركيباً واسلوباً. مع لحاظ الأداء العام والاستعمال العام وكذلك التوظيف العام للمكونات اللغوية، التي تقتضيها اللغة التي تنتمي اليها الشخصية المعرفية؛ بحيث لا تتقاطع مع بنائها ومعناها تماما.

وهذا الامر يبرز في المنتجات الأدبية بشكل واضح، فثمة معجم لغوي خاص بشكسبير، والمتنبي، وغيرهما من الادباء. إذ نجد استعمالاً خاصاً للكلمات والجمل والأساليب، في المعاني والدلالات، وفي المستويات الكلامية: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وفي التوزيع اللغوي للوحدات الكلامية، وفي التنوع الاسلوبي للأساليب الكلامية. طبعاً هذا فضلاً عن الأداء اللغوي والاستعمالي والتوظيفي العام الذي تفرضه عرفية اللغة التي لا ينبغي التقاطع معها. وهذا يكشف عن وجود معجم خاص يمثل شخصية معرفية معينة، يمكن أن يستنبط من مجموع انتاجها المعرفي.

فكذلك للقرآن الكريم معجم يتمثل في طبيعة الأداء اللغوي، وفي كيفية الاستعمال الكلامي، وفي التوزيع الوظيفي للوحدات الكلامية، وفي اسلوبية الاساليب اللغوية، وفي التنوع السياقي للنسيج النصي، وفي المرجعيات البيئية للنصوص، وفي المستويات اللغوية: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، ومتعلقاتها ومتطلباتها ومعطياتها. فالقرآن وإن ساير اللسان العربي في الاستعمال، إلا إنَّه

يمتلك معجماً لغوياً خاصاً، يميزه عن اللسان العربي، والذي أصبح مورداً للاحتجاج والبيان الاعجازي، نعم هذا المعجم الخاص أصبح عاماً حين أقرت العربية بحاكمية القرآن على لسانها، وأصبح الدليل المتعالى في صوابها، وأخذته في بناء كيانها ونمائها. لكنَّ عموميته بلحاظها لا بلحاظه، إذ يبقى خاصاً بالنسبة اليه. معجم يظهر فيه الكلام القرآني بأداء استعمالي خاص، يفرض على اللغة أن ترتفع اليه لتأخذ منه ما يحييها.

القسم الثاني: المبادئ التصديقية:

التماثل الصوتي: وهو من الظواهر اللغوية التي أُخذت في شبهة على النص القرآني بوصفه يراعي في نهايات آياته تماثلاً صوتياً، فهو كالشعر في حرف الروي أو القافية، وكالنثر في التسجيع. وهذه الشبهة قائمة بوهم التشابه بين النص القرآني وبين الكلام العربي الموروث، الذي جاء بهيئة السجع في نهايات عباراته في النثر المشابه للشعر في التقفية، والذي يقتضي وجود فرق كبير بين الكلام المسجوع وبين المقفى، وإن وجد التشابه في الأداء الصوتي من ناحية الترتيب كما هو مسلم به.

وما قيل من أنَّ السجع ظاهرة تعود في تاريخها إلى سجع الكهان، وأنَّهم أول من نطق به، فهو قول مرسل، وليس له دليل مثبت، نعم ((قد ألف الكهان النطق بالسجع حتى غلب على كلامهم وأختص بهم))[٢٥] فتسجيع الكلام طبع أدائي صوتي يُحسِّن الخطاب ويكسيه جمالا، ويجعله أثبت في النفوس، وأيسر في التداول، وأسهل في الحفظ، مع عدم إغفال أنَّه يشترك في دلالته مع دلالة سياقه الوارد فيه؛ ففيه إضافة دلالية تسند معنى مورده، أو تزيد معناه، أو تضيف له معنى فوقي، أو تتمثل بإيماء إلى معنى ما. وهذه الميزات تجري في الشعر أيضاً فلا تقتصر على النثر، ويشهد بذلك التحليل الصوتي للنصوص، فقد أثبت أنَّ السجع في النثر والتقفية في الشعر لهما دلالاتهما وأثرهما في معنى النص، وأنَّهما يخضعان لإرادة منتجه دون ريب؛ والا لما وظفهما في نصه.

والسجع والقافية يقعان في قبال الفاصلة في القرآن الكريم، فنهايات الآيات تسمى اصطلاحاً بالفاصلة، وهي من أساليب نظم القرآن [٢٦] وتتشابه معهما في الأداء الصوتي في الكلام. والذي يميز

القافية عن السجع أنَّها مع الوزن تختص بالشعر، وأما السجع فيختص بالنثر، ولتمييز كلام القرآن عن سائر الكلام أُصطلح على نهايات آياته بالفواصل، تحاشياً للخلط المفهومي بينها وبين القافية والسجعة؛ فالفاصلة يكون اللفظ فيها تابعاً للمعنى بخلاف غيرها [٢٧] نعم تشترك الفاصلة مع السجعة في المدلول اللغوي فيقال:((سجع الرجل اذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن))[٢٨].

ومن الجدير بالالفات اليه أنَّ السجع أو الفاصلة بالمعنى اللغوي وكذلك القافية هي ظواهر طبيعية في الكلام البشري، سواء في اللغة الرسمية الفصيحة أو في اللغة اللهجية الدارجة، فنلحظ الام تترنم لوليدها بكلمات لتنويمه أو لقطع بكائه أو للمرح معه، ونلحظ السائر في طريق يدفع بعده بإشغال نفسه وتسليتها بما يشبه حالة الام لوليدها من الترنيمات، ونلحظ من يقوم بكتابة نص ما أن يجعله في مظهر جميل أنيق يستهوي غيره، وهذه اللحاظات وغيرها الكثير في حياة الانسان لا تختص بقوم دون قوم، ولا لغة دون لغة؛ ولذلك تجد السجع والفواصل بالمعنى اللغوي والتقفية ليست فقط في لغة العرب بل هي في سائر اللغات أيضاً، إنَّما الاختلاف في طبيعتها ونظمها، أما في أدائها الصوتي فهي على بعد واحد. وعليه فالقرآن قد ساير الطبيعة البشرية في الأداء الصوتي في التماثل فيما بين فواصل آياته، وكما نزل بلغة بشرية ولم يستحدث لغة خاصة لم تعرفها البشرية، وجاء بها بكيفية مذهلة من جهة المعنى والمبنى، بحيث أبهرت فحول حكماء العرب الضليعين بلغتهم، كذلك ساير التماثل الصوتي في التخاطب البشري، وساير الترنم العربي بنحو ما؛ لذلك يقول سيبويه وهو أحد حكماء لغة العرب واصفاً لهم ((إنَّهم إذا ترنموا يلحقون الالف والواو والياء... لأنَّهم أرادوا مد الصوت)) [٢٩]. لكنَّ القرآن جاء بما لم يأت به البشر فأضاف شيئاً جديداً لا يمكن القول بسجعيته بدليل قاطع ولا بتقفيته كذلك، وهذا ما جعل الكثير من المفكرين الموضوعيين أن يطلقوا على نهايات الآيات بالفواصل القرآنية؛ لكونها ليست تسجيعاً ولا تقفية بالمعنى الحرفي، وليس فيها تكلف من أجل التوافق الصوتي كما في تسجيع النثر وتقفية الشعر. فالشبهة المأخوذة على النص القرآني في هذا الخصوص [٣٠] هي مفهومية لا مصداقية، وصاحبها ليس موضوعياً إن لم يأخذ خصوصية النص القرآني في سياق

شبهته، وكذلك ميزات نظمه ولغته. فهو نص يعود إلى منتج قد جعل نصه ذا سمات خاصة لا تقاس به نصوصاً أخرى للحكم عليه، فهل يعقل أن يُحكم على نص لشخص ما بخصوص نص غيره!، فلكل نص بناءه ومعناه واسلوبه، فلا موضوعية في تعمد وصف النص القرآني بتأثره بسجع الكهان أو السجع الاصطلاحي الذي يقتضي التكلف وتبعية المعنى وخضوعه للفظ بمجرد الشبه في التماثل الصوتي؛ بغية إظهاره بشرياً، نعم يمكن وصفه بالتماثل الصوتي فهو معنى عام ينطبق على الفاصلة القرآنية وعلى غيرها، وهو الامر الذي جارى فيه القرآن الطبع البشري في اخراج النص وجارى فيه اللغة العربية.

التماثل الصوتي بإضافة حرف: يقول صاحب الشبهة في تعليقه على الأيات: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ. إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوْتَ كِتَابِيَهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ. يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} كان بإمكانه أن يقول كتابيْ وحسابيْ ومماليْ وسلطانيْ. لكن المقاطع السابقة واللاحقة تلتزم بقافية معينة. (راضية. واهية. قاضية. ثمانية. الخ) وأسهل طريقة لديه لإنتاج كلمات تحافظ على السجع والقافية هو إضافة الهاء إلى (كتابيْ وحسابيْ ومماليْ وسلطانيْ) للحفاظ على السجع والقافية [٣١] وقبل مناقشة المقولة نلفت إلى التشويش في استعراض الآيات لدى صاحب الشبهة، فقد أدرجها بنحو مخل، فلم يذكر الآيات: ١٦و١٧ و١٨ وبدأ بالآية: ١٩ ثم ٢٠ ثم حذف ٢١ و٢٢و٢٣و٢٤ ثم تحول إلى ذكر الآيات: ٢٥و٢٦و٢٧و٢٨و٢٩. علماً أنَّه ذكر المفردات الواردة في الآيات المحذوفة في موضوع شبهته، ولم يذكر آياتها التي تمثل سياقها، بل ذكر المفردات بشكل مشوش أيضاً بعد فصلها عن سياقها، فقدم وأخر بشكل عبثي لا يرتضيه المنهج البحثي الدقيق في خصوص نصية النص، فكل ما في النص خاضع لإرادة صاحبه وقصديته.

فمن الجدير أن يدرج النص على أصله بحسب ما يلي: {وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦والْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ

١٨فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ ١٩إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ٢٠فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ٢٤وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ٢٥وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ٢٦يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ٢٧مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ٢٨هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ٢٩}[الحاقة ١٦- ٢٩] فالسياق النصي فيه إحالات ومقامات ومرجعيات يقتضيها النص، والاعتماد على المتلقي فيها لا يصح في هذا المورد؛ إذ يفقده الاستمرارية والتواصل مع النص حين تشويشه.

فالهاء حسب الشبهة قد أُضيفت لتنظيم الكلام تسجيعاً وتقفياً، ويعني ذلك بشرية القرآن. وهذا الاشكال يكشف عن تعمد صاحبه بضرورة وصف القرآن بالتقفية، أو جهله بالتمييز بينها وبين الفاصلة والسجع، فالقافية ميزة الشعر. وأما التسجيع فهو بيّن عن الفاصلة في النص القرآني كما سلف. ولو قبلنا جدلا ونقضاً سجعية النص القرآني؛ بإضافة صوت الهاء ما كان الضير فيه مأخوذاً؛ لمسايرته – القرآن – اللسان العربي؛ إذ تضاف الهاء في اللسان العربي للسكت عند الاستعمال، ومن مواردها ياء المتكلم [٣٢]، فمن المتفق عليه بين النحاة أنَّها: ((هاء تقع في آخر الكلمة؛ لبيان حرف قبلها، أو حركة الحرف الذي قبلها، وهي لا تكون إلا في حالة الوقف على الكلمة، وقد توصل بنية الوقف))[٣٣] ومن استعمالاتها في الشعر العربي:

إذا ما ترعرع فينا الغلامُ فما إن يقالُ له من هوه [٣٤]

ويقلنَ شيبٌ قد عـــــلا ك وقد كبرتَ فقلت إنه [٣٥]

فلا ملازمة بين التسجيع بالهاء وبين بشرية القرآن؛ إذ لا يمنع فرض احتمال التلازم من إلهية القرآن، بل الامر ينعكس في مورد الشبهة، فيكون التلازم في إلاهيته هو الأقوى والاوفق؛ لقوة التعبير؛ واحكام التنظيم؛ وبراعة الأسلوب؛ وجمالية الاستعمال؛ واتساق النص عبر توظيف الصوت. ولو رفضنا سجعية النص القرآني ضرورة وحلاً فهو القول الفصل؛ فالقرآن تنتهي آياته بالفاصلة لا بالقافية أو السجعة، وهو نص توظف فيه الوحدات اللغوية بشكل اتساقي وانسجامي. ومن اتساقه توظيف

صوت الهاء في المقام؛ إذ جاءت في ستة موارد من النص: في اثنين منها: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ} في (كتابيه، وحسابيه) مع ياء المتكلم التي أحالت داخلياً على من أوتي كتابه في يمنيه. وفي أربعة منها: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} في (كتابيه، وحسابيه، وماليه، وسلطانيه) مع ياء المتكلم التي أحالت داخلياً على من أوتي كتابه بشماله. فالسياق النصي في الموارد يقتضي الاختلاف في ياء المتكلم والهاء، فاللتان أحيلتا على من أوتي كتابه في يمينه يكتسبان معناهما منه، واللتان أحيلتا على من أوتي كتابه في شماله يكتسبان معناهما منه ايضاً. فياء المتكلم في المورد الأول لصاحب اليمين، وفي المورد الثاني لصاحب الشمال. أما الهاء ففي المورد الأول فتدل على السرور والبهجة؛ بالقرينة السياقية: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} فكأنَّ صاحب اليمين في موضع بهجة الزفير بعد تنفس الصعداء، فيقول تعالوا اقرؤا كتاب أعمالي بطمأنينة ثابتة. وأما في المورد الثاني فتدل على التحسر والتأسف والندامة، بالقرينة السياقية: { يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} فكأنّ صاحب الشمال يتأوه حسرة وتأسفاً وندماً جراء كتاب أعماله الذي يقوده إلى الجحيم. فالهاء تسير في المورد النصي بثنائية سياقية في مبناها ومعناها؛ ليظهر نسيج النص في ترابط مقطعي فريد، فثمة مقاطع سابقه لها وأُخرى لاحقة لها قد تماثلت معها صوتياً. فلا غلو في القول ببراعة الأداء النصي، والاناقة اللغوية الملفتة، والاثارة الجمالية الخاطفة في هذا المقطع من النص.

التماثل الصوتي بإضافة ما يزيد عن الحرف: وذلك في أخذ مفردة (إلياس، وإلياسين) في مورد الشبهة، إذ قيل: ((وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. فلو قال سلام على إلياس بدل إِلْيَاسِينَ لَأَوْصَلَ المعنى لكنه سيكسر القافية. وإلياس كلمةٌ لا تتوافق مع القافية التي فيها هارون والآخرين والمرسَلين الخ. لذلك عليه أن يضيف ياءً ونُوْنا

لتصيرَ إلياسين ويحافظَ على السجع، طَبْعا بالتأمل في السياق نجد أنَّها تحريف إلياس لأنَّ الساجع هنا كان يذكر الأنبياءَ ويختم ذكرَهم بقوله سلام على فلان وهكذا. فقال مثلا عن نوح: وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ. سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وعن إبراهيم: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيم. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُون. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وتَظْهَرُ إما بتكرار لفظة أو عدة ألفاظ بشكل متكرر، مثل تكرار فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان في سورة الرحمن أو وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِين في المرسلات أو بتكرار النمط والشكل للمقطع كما هو هنا في الصافات)) [٣٦] .

وكما هو عهد صاحب الشبهة لا يستعرض النص بشكله الكامل، فيقتطع ما يراه مناسباً اعتماداً على حافظة المتلقي ومخيلته؛ وهذا أمر مرفوض نصياً؛ فالنص يخضع لنسيج وحداته، وحذف بعضها يخلخل تلقيه. والنص هو{ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80)إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٨٢) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88)فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠ (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣ (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠ (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤ (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥ (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ

(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧ (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢(وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٩) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩ (سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)}[٧٥-١٣٢] ولفقهاء اللغة والمفسرين أقوال في المفردتين: (إلياس وإلياسين) أهمها، أنَّ الياسين((فيه قراءتان (آل ياسين، وإل ياسين) فمن قرأ (آل ياسين) أراد به (آل محمد) (ص) ومن قرأ (إل ياسين) ففيه وجهان: أحدهما أن يكون لغة في (إلياس) كميكال وميكائيل. والثاني: أن يكون جمع(إلياس) فحذف ياء النسب، كالأعجميّين، والاشعريين))[٣٧] فالوجه الأول مبني على السياق الثقافي للنص، فقد وردت أدلة لفظية في البحث الإسلامي تفسر مفردة (إلياسين) بآل محمد (ص) [٣٨] والوجه الثاني مبني على الاستعمال في لغتين لتسمية نبي الله (إلياس) الذي بُعث إلى بني إسرائيل. والوجه الثالث مبني على حذف ياء النسب تخفيفاً للثقل عند الجمع.

فهذه أهم الوجوه اللغوية والتفسيرية للمفردتين، والنص في ضوئهما خارج عن مورد الشبهة مطلقاً، فعلى الدلالة في الوجه الأول أنَّ النص له سياق ثقافي مرتبط به، يتطلب من المتلقي معرفة هذا السياق؛ لإدراك دلالة وحدات النص؛ ولتحقيق الاستمرارية النصية التي تقتضيها بعض النصوص ذات اللغة العالية التي تتسم بالبلاغة والحكمة اللغوية العميقة، كما يحصل ذلك في النصوص الأدبية العالمية المتميزة، فنجد فيها إحالات على سياقات ثقافية لا يمكن فصلها عنها، وتتطلب من المتلقي أن

يراعيها عند التواصل معها، لا أن يُنكرها لجهله بها. وعلى الوجه الثاني فهذا الامر– استعمال لغتين– يحدث بشكل طبيعي ومطرد في اللغات نتيجة لعوامل معنية، وبلحاظات ظرفية وموضوعية معينة، كما في (جبريل وجبرائيل) للملك الوحي. وفي هذا الوجه إعلامية ظاهرة؛ إذ يقدم المقطعُ النصي عبر المفردتين (إلياس وإلياسين) معلومة خارج توقع المتلقي بفضل توفير البديل اللفظي بينهما، مع بقاء النظر إلى حيثية الاستعمال لكل منهما، فإلياس حسب الوجه اسم علم لنبي الله (ع)، وإلياسين اسم له بزيادة الياء والسين ((لقصد التجليل والتعظيم)) [٣٩]. وفي المقطع النصي الذي يحتوي المفردتين دقة كمال اتساقي وانسجامي، وتنزّه عن التشويه والقصور النصي، إذ يتميز بتقنية المقبولية النصّية التي تتمثل فيه بالاقتران مع مفردة (سلام) التي تربطه مع المقاطع النصّية السابقة له : { سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ، سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ} والتي تتحقق بموجبها بلاغة التسميتين لنبي الله (ع).

وعلى الوجه الثالث فالإتساق النصّي بيّن أي: حذف ياء النسب عند الجمع؛ لتجنب الثقل التلفظي؛ وليكون المقطع النصي متناسقاً ومترابطاً في وحداته جميعا، ومنها (إلياسين) وفي النهاية قصدية أتباع إلياس (ع) ومريديه؛ ليشملهم السلام بالمصاحبة الدلالية والملازمة المفهومية لشأن موقفهم مع نبيهم الذي يستحق الثناء بالسلام. وبذلك براعة في الأداء الكلامي، ودقة فائقة في الاستعمال، إذ السلام عُبر عنه بمفردة (السلام) لكنَّه أحال علي(إلياس) وأتباعه (إلياسين) دون تكرار (السلام)، أو توظيف العطف. وبذلك تجل للترابط الفكري والتماسك الدلالي الذي يعني الانسجام النصّي. فلا زيادة سجعية في مفردة (إلياسين) كما يُدّعى.

ولو فرضنا أنَّ القرآن قد سُجَّع كما يُدّعى – علماً أنَّنا نقول بالفاصلة – فما المحذور الذي يقض عروش خصومه؟، أليس من العبقرية إخراج النص بأعلى مستويات التشكيل الفنّي والجمال الاسلوبي عند أهل الادب وعباقرة البلاغية؟ ومن ذلك نهايات الكلمات في التعبير، بحيث تكون مناسبة لدلالات وحداته، كما يعمله أهل الذوق البلاغي المتميز، بحيث يضطرون أحياناً إلى الضرورات التي قد

يحصل معها الخطأ، ومع ذلك يحمدون ويمجدون معه – الخطأ –، فلماذا لا يُحمل النصّ القرآني بحمل عباقرة البلاغة؟، وتكون زيادة الياء والنون وجوداً لفظياً وكتبياً لصوت السين الذي تنتهي به كلمة (إلياس) وهو ما تتلفظ به العرب لحرف (س)، ويكون في هذا الاجراء إلماح إلى التعظيم والتفخيم للنبي (ع) مما يوجب عقلا وصف القرآن بالعبقرية البلاغية المتميزة. وليس فيه غرابة إذ ((حرف السين يلحق أواخر الأسماء اليونانية كثيراً كما في هرمس، وديوجانس، وديوغانس... إمّا للوقف والسكت، وإمّا للدلالة على العظمة والمبالغة والكثرة والزيادة)) [٤٠] وهو ما تشهد به اللّغات عند توظيف صوت السين في أدائها الكلامي. وبذلك فضل للقرآن في تعليم العرب التنوع الاستعمالي والدلالي للّغة على وفق الحيثيات التي يقتضيها الكلام، بل وحفظها لهم من الاندثار والضياع، وليس فقط وجوب إنصافه بالثاء والوصف بعبقريته.

التماثل الصوتي بتغيير مبنى الكلمات وتشويشها: فمن تغيير المبنى قيل: ((لكن التحريف قد يأخذ شكلا أكبر، لنر المثال التالي: قال محمد في سورة المؤمنون:{ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ}. لكنَّه في سورة التين اضطر لتشويه كلمة سيناء تشويها شديدا لا لأي سبب سوى الترابط السجعي، والرنين اللفظي: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِسِينِينَ} فسينين أفضل من سيناء؛ سيناء لا تتفق سَجعِيّا مع التين والزيتون)) [٤١]. ومن تشويش الكلمات قيل: ((عمل الساجع على التقديم والتأخير، التقديم والتأخير يتم عند العرب أحيانا لأهمية المقدم على المؤخر، أو لإفادة إضافية في المعنى، كعملية حصرٍ وقَصْرٍ، أو للضرورة الشعرية. وحين يأتي للضرورة الشعرية فإنَّه يُعتَبَرُ خللا بلاغيا، لكنَّ في الحالات كلها يجب أن يكون بأدنى حد ممكن، وألا يخل بالمعنى، وألا يولدَ الالتباسَ والغموضَ، ويغيرَ المعنى. وقد قام محمد بالتقديم والتأخير لغرض الضرورة السجعية كقوله في سورةِ صاد:{جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ} يريد أن يقول: (ما هناك من جند الأحزاب مهزوم) فقدمَ وأَخَّرَ وطَحَنَ وعَجَنَ ولفَّ ودارَ فصارت (ما) الموصولة كأنها حرف زائد لا لزوم له، وصارت الجملة عبارة عن سَلَطَةِ كلمات)) [٤٢].

المعجم اللغوي العربي في الغالب مورد الاحتكام لمعاني المفردات العربية، وهو يكاد يجمع على معنى (طور سيناء) و(طور سينين) تسمية لجبل [٤٣] بغض النظر عن تحديد مكانه، أو حجم المساحة الأرضية التي نشأت تسميته بلحاظها؛ إذ (سيناء وسينين) يطلقان على مساحة من الأرض [٤٤] والذي يظهر (من وجه) في توظيف طور سيناء في قوله: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ} [المؤمنون : ٢٠] وتوظيف طور سينين في قوله: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ}[التين :١- ٢] أنَّ القرآن قد استعمل مفردتين في تسمية مسمى واحد وهو الجبل المعني، لكنَّ اللحاظ والسياق مختلفان. فطور سيناء في سياق تنزيل الماء من السماء الذي يسبب النعم والخيرات مع الالفات إلى نمو شجرة مباركة في موضع مبارك خاص، وهو طور سيناء الجبل في تلك المساحة من الارض: {وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (١٩) وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢٠)}[المؤمنون ١٨-٢٠]. وطور سينين في سياق القسم، مع الالفات إلى جبل سينين كثير البركة. فمورد الاستعمال متفق في مسمى التسمية وهو الجبل في الأرض المباركة وموضع مناجاة النبي موسى (ع) لربه كما هو معروف. ومختلف في السياق واللحاظ، فالأول سياق النعم والخيرات ولحاظ نمو الشجرة المباركة، والثاني سياق القسم ولحاظ خصوص الجبل في الأرض المباركة. إنَّما الاختلاف في التعبير بين سيناء وسينين ((إشارة إلى أنَّ المنظور في المورد المحل المحدود من أراضي سيناء وهو ما يقرب من جبل الطور وحواليها، فإنَّ الياء مع النون تدل على الانكسار والانخفاض، وهذا يناسب المحدودية والاختصاص. بخلاف الالف الممدودة، فتدل على التوسع والامتداد)) [٤٥] وبذلك يعود الاختلاف في التعبير إلى مساحة الأرض المباركة، فسينين الأرض التي حول جبل الطور والمحيطة به، وسيناء المساحة الاوسع. وهذا لا يمنع من استعمال أحد التعبيرين موضع الاخر عند لحاظ مورد الاتفاق بينهما، أي: قصد التسمية للجبل المعني عند اضافته للأرض المباركة.

وفي التعبيرين إعلامية نصية موضوعية، فالنص الذي وردت فيه (سيناء) مرتبط موضوعياً مع النص الذي وردت فيه (سينين)، فهما مورد الارتباط النصي. بحيث يصلح كل منهما أن يحل محل الاخر عند قصدية البعد الاتفاقي بينهما، أي: الجبل في الأرض المباركة. والإعلامية تتمثل في مفاجئة المتلقي بأنَّ التعبيرين لهما بعد اتفاقي يتيح له الاستبدال بينهما، ويحفظ له إمكانية استعمالهما أنَّى شاء. ولهما بعد اختلافي غير انفصالي مرتبط باختلاف السياق واللحاظ والسعة. وفي النص الموضوعي في المقام موقفية نصية؛ فطور سيناء أو سينين يحيل على بركة هذا الجبل وأرضه، وأهميتهما الرمزية والدينية، فهذه البقعة من الأرض هي موضع مناجاة النبي موسى (ع)، وهي منزل الخيرات والنعم، ولذلك اقتضى الموقف القسم بالطور، واستقراء النعم والخيرات النازلة من السماء، الامر الذي يجعل هذا النص موافقاً لمقتضى الحال، ومتساوياً مع الموقف، ومرتبطاً به؛ بحيث يتمكن المتلقي من استرجاعه. ويتمثل في النص الموضوعي الانسجام النصي بالعلاقات: بعلاقة الاستبدال بين طور سينين وطور سيناء عند إرادة مورد الاتفاق الدلالي بينهما. وبعلاقة الكلية والجزئية والعمومية والخصوصية نظراً لمساحة ارض كل منهما. وبعلاقة الموضوعية النصية بلحاظ الربط التعبيري المتمثل بطور سيناء وطور سينين. وبعلاقة الاجمال والتفصيل، فجزء من النص الموضوعي فيه تظهير للإجمال في قصدية الجبل المعني؛ لذلك جرى القسم عليه، والجزء الاخر منه تظهير للتفصيل في قصدية النعم والخيرات النازلة والشجرة المباركة. فهذه العلاقات قد جعلت من النص كلاً مترابطاً في مقطع نصي موحد منتظم منطقياً. وليس هذا فحسب إنَّما النص قد جاء منسجماً في ترتيب أجزائه، فقوله: {وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (١٩) وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢٠)}. جزء من النص، يأتي بعده الجزء المكمل له موضوعياً في قوله: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ}. والتين والزيتون من النبات والفاكهة، تنشأ بالماء وتؤكل ثمرتها كالنخيل والاعناب وسائر الفواكه. وطور سيناء وطور سينين متماثلان في التسمية على

مسماهما؛ وبذلك اشتراك لجزئي النص الموضوعي، ويمثل الثاني امتداداً للأول ومنتظما معه دلالياً. فلا رنين لفظي، ولا تشويه في كلمة سيناء بقصد الترابط السجعي كما يُدعى، بل توجد دقة استعمال متعالية تستحق الإشادة. وعلى قائلها إعادة النظر للتمسك بالموضوعية والصدق البحثيين.

وفي قوله: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ} [ص : ١١] الذي أُخذ عليه تشويش الكلمات بقصد الضرورة السجعية، نبدأ بإعراب النص:

((-جُنْدٌ ما: مبتدأ مرفوع بالضمة المنونة وجاز الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة. ما: مزيدة فيها معنى الاستعظام إلا أنه على سبيل الهزؤ بمعنى:

ما هم إلا جيش من الكفار... أو تكون (ما) للتوكيد.

-هُنالِكَ مَهْزُومٌ: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بخبر المبتدأ. اللام للبعد والكاف حرف خطاب والإشارة إلى حيث وضعوا أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله. لست هناك. مهزوم: صفة- نعت- لجند مرفوعة مثلها بالضمة المنونة.

-مِنَ الْأَحْزابِ: جار ومجرور متعلق بصفة ثانية محذوفة من «جند» بمعنى المتحزبين)) [٤٦].

وفي اعراب آخر:

((-جند ما: خبر لمبتدأ محذوف أي هم جند وما نكرة تامة صفة لجند على سبيل التحقير أي هم جند حقير فإن ما إذا كانت صفة تستعمل للتعظيم أو التحقير والثاني هو المراد ولك أن تعربها زائدة.

-وهنالك: اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف صفة لجند.

-ومهزوم: نعت ثالث لجند أو خبر ثان للمبتدأ المحذوف ويجوز أن يكون جند مبتدأ ساغ الابتداء به لوصفه وهنالك خبره.

-ومن الأحزاب جار ومجرور متعلقان بمهزوم.)) [٤٧]

بحسب هذين الاتجاهين الاعرابيين اللذين هما أشهر وأوضح ما يمكن أن يقال في إعراب النص أنَّ (جند) يمكن أن تعرب مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف، و(ما) إما مزيدة للتحقير أو الهزؤ أو التوكيد، وهي نكرة. و(هنالك) اسم إشارة في محل خبر للمبتدأ أو صفة لجند. و(مهزوم) صفة أو خبر ثان لجند. و(من الأحزاب) جار ومجرور بمعنى المتحزبين. فيكون معنى النص: هم جند ما، أي نكرة ليس لهم أي قدرة أو قيمة يعتد بها، وليس لهم هنالك إلا الهزيمة، فهم مهزومون لا محالة. ومن البعيد اعراب ما اسم موصول كما يراه صاحب الشبهة ولا يسمح بغيره، بغية الإيقاع بالقرآن بتهمة التشويش للكلمات لتحقيق الترابط السجعي كما يدعيه بغير بينة. فالنص في بنيته التعبيرية موافق للأنظمة اللغوية العربية، وليس فيه ما يخالف عمقها البلاغي إذا لم نقل بتجاوزها، وهو الذي نؤمن به عن يقين. وبذلك يكون تظهيراً للمقبولية النصية التي تستدعي لمستقبل النص أن يستحسنه، الامر الذي يتطلب منه أن يفهم لغة العرب جيداً وقوة بلاغتها؛ ليكتشف جمال عمق التعبير القرآني وحكمة بلاغته. والكيفية التعبيرية للنص {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ} تكشف عن ترتيب نصي، قد جاء عليه النص ليناسب الاحداث التي يتكلم عنها، فالترتيب يتعلق بقصدية النص التي تقتضي التناسب بين التعبير وبين الاحداث المعبر عنها، ليكون الترتيب النصي مجديا، وبالنتيجة منسجما. فينتفي بذلك التشويش المزعوم؛ إذ الترتيب فيه لم يكن بسبب الفاصلة، إنَّما يخضع للقصدية والتناسب بين كيفية التعبير وما يُعبر عنه. نعم للفاصلة أهميتها ودلالتها في النص، وما يشترك مع غيره من النصوص، التي يتشكل معها في مقطع نصي، ومن ثمَّ الاشتراك في وحدة نصية كبرى تمثلها السورة التي تنتمي اليها الآيات.

الخاتمة:

في الختام يمكن استعراض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وبحسب ما يلي:

١- القرآن الكريم نص بوصفه يقبل المعايير النصية بحسب الظاهر، بل تنطبق عليه بنحو يتميز فيه عن غيره، وله مُنشئ تبارك وتعالى، وله متلقٍ مطلقٍ، وهو موضع تواصل بين المُنشئ والمتلقي، بوصفه رسالةً ويحمل رسائل، وبذلك يخضع لارادة مُنشئه.

٢- اللغة العربية لغة النص القرآني في الالفاظ ودلالات الالفاظ، لكنه يختلف عنها في فكره، فهو للناس كافة، وهي ليست كذلك، نعم يمكن أن تكون كذلك فعلا لا قوة فقط حين تلحق به.

٣- للقرآن معجم خاص في الأداء الكلامي شأنه شأن غيره من الكيانات التي تستدعي معجماً خاصاً، ولا يمنع في وصفه هذا من حاكميته على العربية التي نزل بها، فهو مرجعها في التقعيد، ومصدرها الأول في اثبات قواعدها المجملة فيه المفصلة في علومها.

٤- الرؤى الالحادية في خصوص التماثل الصوتي قابلة للنقد والتفنيد وليست كما يصورها البحث الالحادي ويتصورها، بل هي قد بُنيت على أرض رملية ما لها من قرار، وتكشف عن الابتعاد عن الموضوعية، وقلة المعرفة في اللغة العربية فضلا عن النص القرآني.

٥- التماثل الصوتي بوصفه نموذجاً لنقد الرؤى الإلحادية قد أُجري بنجاح لمحاولة رفع الشبهات عن القرآن الكريم في خصوص الإشكاليات اللغوية، الامر الذي لا يمنع من النجاح في موارد إشكالية أُخرى. واللغة العربية في علومها خير معين على تفنيد تلك الإشكاليات.

٦- النصية القرآنية تقتضي من المتلقي قبول النص القرآني والتواصل معه والاندماج في سياقه، لكشف أسرار تعبيره، لا التعجل برفضه والوقوف في الضد منه؛ بمجرد الشك فيه أو التوهم أو الجهل. وهذا ما اثبتته الدراسة القائمة. نعم إذا كانت هنالك بينة قائمة على الدليل الموضوعي الرصين فلا بأس بإجراء الأشكال.

الهوامش:

(١)ينظر: لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار صادر، بيروت،١٩٩٤م، ج٧/٤٢-٤٤

(٢)ينظر: التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه: د السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٦، ص: ١٤٥-١٤٦

(٣) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧، ص: ١٤٦

(٤) ينظر: النص والخطاب والاجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص: ١٠٣- ١٠٥

(٥) ينظر: تطبيقات نظرية علم لغة النص لدي بوجراند و دريسلر على القرآن الكريم: د اياد عبد الله واخرون، مجلة قرانيكا، مج٩ العدد١، ٢٠١٧م، ص:١١٦

(٦) ينظر: المصدر السابق: ص: ١١٧

(٧) ينظر: المصدر السابق نفسه

(٨) ينظر: المصدر السابق نفسه

(٩) ينظر: المصدر السابق نفسه

(١٠) ينظر: المصدر السابق: ص: ١١٧

(١١) ينظر: المصدر السابق نفسه

(١٢) المصدر السابق: ص: ١١٨

(١٣) مباديء اللسانيات العامة: أحمد قدور، جامعة حلب،٢٠٠٦م، ص: ١٥

(١٤) ينظر: قضايا أساسية في اللسانيات، دار طلاس، دمشق،ط١، ١٩٨٨م، ص:١٢

(١٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٨٥م،ص:٧

(١٦) ينظر: مباديء اللسانيات العامة: ص:١٥

(١٧) علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح: عبد العزيز مطر، قطر، ١٩٨٥م، ص:١٨-١٩

* اطلاق العلم على اللسانيات النصية اطلاق عرفي.

* بعض الاسئلة الاشكالية في هذا المورد من البحث مستوحاة من: كتاب تفنيد مزاعم الاعجاز العلمي والتنبئي في القرآن والأحاديث المحمدية: تأليف مجموعة من الملحدين العرب، مطبوع على هيئة كتاب أليكتروني. ومن: مجلة الملحدين العرب: العدد ١٠، ص: ١٠٢ وما بعدها. والعدد ٢٠، ص: ١٤وما بعدها. والعدد ٢١، ص: ٤٧ وما بعدها. والعدد ٢٥، ص: ٢٥ وما بعدها. ومن: موقع نور العقل على الرابط:https://nour-alakl.blogspot.com. ومن شبكة الالحاد العربي على الرابط:https://www.il7ad.org/vb/showthread.php?t=11461

(١٨) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،١٩٩٩م، ج٤/٢٩٩-٣٠٠

(١٩) بحار الانوار: محمد باقر المجلسي،ج٧/١٥٦، الرواية ١

(٢٠) الجامع الصغير: السيوطي، ج١/١٦١

* ثمة شواهد فيها من الكثرة ما يغني للتدليل على هذا الامر نوكلها إلى محلها، وهي موزعة في المصنفات، ومعترف بها من قبل خصوم القرآن الكريم. ويمكن مراجعة مصنفات خصائص العربية وسماتها.

(٢١)تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي: شوقي ضيف، دار المعارف،ط١١، القاهرة، ص:١٥٧

(٢٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: محمد الطنطاوي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص:٢٣-٢٥

* يمكن مراجعة المصنفات التي اشتغلت على لغة العرب الرسمية، أو لغة القرآن، أو كتب فقه اللغة، أو كتب اللهجات العربية؛ للتعرف على الآراء التي قيلت فيها. مثلا كتاب: لغة القرآن دراسة توثيقية فنية: د أحمد مختار عمر. وكتاب: لغة القرآن الكريم: د عبد الجليل عبد الرحيم. وكتاب: لغة قريش: مختار الغوث

(٢٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨م، ج١/١٦٦

* هنالك الكثير من الأمثلة التي لا يسع المقام لذكرها، محلها مصنفات الاعجاز اللغوي والبياني في القرآن.

(٢٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي، جامعة بغداد، ط٢، ١٩٩٣، ج٨/٧٣٩

(٢٦) ينظر: الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار، ط٢، الأردن، ٢٠٠٠، ص: ١٣

(٢٧) ينظر:الاتقان في علوم القرآن: السيوطي، طبعة الحلبي، ط٣، ١٩٥١،ج٢/٩٦

(٢٨) العين: الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان،٢٠٠٢، مج٢/٢٧١

(٢٩) الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة،١٩٨٨، ج٢/٢٩٨

(٣٠) ينظر: الازعاج البلاغي في القرآن: حسن الجودي، مجلة الملحدين العرب، العدد ٢٠، ٢٠١٤م، ص: ٢٥ وما بعدها. وينظر: اكذوبة الاعجاز اللغوي والبلاغي في القرآن: وليد الحسيني، موقع نور العقل، ٢٠٠٩/ ديسنبر/٢، https://nour-alakl.blogspot.com/search? وينظر: لا إعجاز في بلاغة القرآن، يافث القرشي، مجلة الملحدين العرب، العدد١٥، ٢٠١٣، ص:١١٢

(٣١)ينظر: Debate Quran: Religions are man-made، ١٨/أكتوبر/٢٠٢٠، https://thequrandebate.com/

(٣٢) ينظر: الايضاح في شرح المفصل: أبو عمر عثمان بن عمر بن الحاجب، تحقيق: موسى العليلي، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٢، ج٢/٢٨٣

(٣٣) هاء السكت بين القراء والنحويين: مجيد محمد حبريشة، دار الفضيل، ط١، ليبيا، ٢٠١١، ص: ١٧

(٣٤) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت: عبد الرحمن البرقوقي، دار الاندلس، ط٣، بيروت،١٩٨٣، ص: ٤٨٣

(٣٥) ينظر: ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر، ص: ٦٦

(٣٦)ينظر: Debate Quran man-made are Religions ١٨/أكتوبر/٢٠٢٠، https://thequrandebate.com/

(٣٧) البيان في غريب إعراب القرآن: ابن الانباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ج٢/ ٣٠٨

(٣٨) ينظر: التجلي الأعظم: فاخر موسوي، مكتبة أهل البيت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١/ ١٣٤- ١٣٧

(٣٩) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ط١، طهران، مج١/١٤٢

(٤٠) المصدر السابق: مج١/١٤٠

(٤١) Religions are man-made Quran Debate ١٨/أكتوبر/٢٠٢٠، https://thequrandebate.com/

(٤٢) المصدر السابق نفسه

(٤٣) ينظر: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢/ ٢٩٩. وينظر: المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة مصطفى الباز، نشر مكتبة نزار بن مصطفى الباز، ج١/ ٣٣١. وينظر: لسان العرب: ابن منظور، دار احياء التراث العربي، ط٣، بيروت،١٩٩٩، ج٦/٤٥٩

(٤٤) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ط١، طهران، مج٥/٣٥٥-٣٥٩

(٤٥) المصدر السابق، مج٥/٣٥٩

(٤٦) الاعراب المفصل لكتاب الله المنزل: بهجت عبد الواحد الشيخلي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤٢٧هـ، ج٨/٤٧٢

(٤٧) اعراب القرآن وبيانه: محيي الدين درويش، دار الارشاد للشؤون الجامعية، ط٤، سوريا، ١٤١٥، ج٨/١٩٤

المصادر:

-القرآن الكريم

١. اعراب القرآن وبيانه: محيي الدين درويش، دار الارشاد للشؤون الجامعية، ط٤، سوريا، ١٤١٥م.

٢. الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، طبعة الحلبي، ط٣، ١٩٥١م.

٣. الاعراب المفصل لكتاب الله المنزل: بهجت عبد الواحد الشيخلي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤٢٧هـ.

٤. الايضاح في شرح المفصل: أبو عمر عثمان بن عمر بن الحاجب، تحقيق: موسى العليلي، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٢م.

٥. بحار الانوار: محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، ط٣، الطبعة المصححة، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م.

٦. البيان في غريب إعراب القرآن: ابن الانباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

٧. تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي: شوقي ضيف، دار المعارف،ط١١، القاهرة.

٨. التجلي الأعظم: فاخر موسوي، مكتبة أهل البيت، ط١، ٢٠٠٠م.

٩. التحقيق في كلمات القرآن الكريم: المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ط١، طهران.

١٠. التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه: د السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

١١. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين السيوطي، المكتبة التوفيقية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٢. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر.

١٣. شرح ديوان حسان بن ثابت: عبد الرحمن البرقوقي، دار الاندلس، ط٣، بيروت،١٩٨٣م.

١٤. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: د. سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧م.

١٥. علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح: عبد العزيز مطر، قطر، ١٩٨٥م.

١٦. الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار، ط٢، الأردن، ٢٠٠٠م.

١٧. قضايا أساسية في اللسانيات: مازن الوعر، دار طلاس، ط١، دمشق، ١٩٨٨م.

١٨. الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة،١٩٨٨م.
١٩. كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢٠. لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار صادر، بيروت،١٩٩٤م .
٢١. لسان العرب: ابن منظور، دار احياء التراث العربي، ط٣، بيروت،١٩٩٩م.
٢٢. مباديء اللسانيات العامة: أحمد قدور، جامعة حلب،٢٠٠٦م.
٢٣. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٨٥م.
٢٤. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨م.
٢٥. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،١٩٩٩م.
٢٦. المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة مصطفى الباز، نشر مكتبة نزار بن مصطفى الباز.
٢٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي، جامعة بغداد، ط٢، ١٩٩٣م.
٢٨. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: محمد الطنطاوي، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٩٥م.
٢٩. النص والخطاب والاجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، القاهرة ، ١٩٩٦م.
٣٠. هاء السكت بين القراء والنحويين: مجيد محمد حبريشة، دار الفضيل، ط١، ليبيا، ٢٠١١م.
٣١. المجلات:
٣٢. الإجهاز على شبهة الاعجاز :Matheos HarisonK، العدد: ٢١، ٢٠١٤م.
٣٣. الازعاج البلاغي في القرآن: حسن الجودي، مجلة الملحدين العرب، العدد ٢٠، ٢٠١٤م
٣٤. تطبيقات نظرية علم لغة النص لدي بوجراند و دريسلر على القرآن الكريم: د اياد عبد الله واخرون، مجلة قرانيكا، مج٩ العدد١، ٢٠١٧م

٣٥. قراءة نقدية في بلاغة القرآن: يافث القرشي، مجلة الملحدين العرب، العدد: ١٠، ٢٠١٣م.

٣٦. لا إعجاز في بلاغة القرآن، يافث القرشي، مجلة الملحدين العرب، العدد١٥

٣٧. المصادر الاليكترونية:

٣٨. اكذوبة الاعجاز اللغوي والبلاغي في القرآن: وليد الحسيني، موقع نور العقل، ٢٠٠٩/ ديسنبر/٢، https://nour-alakl.blogspot.com/search

٣٩. تفنيد مزاعم الاعجاز العلمي والتنبئي في القرآن والأحاديث المحمدية: تأليف مجموعة من الملحدين العرب، مطبوع على هيئة كتاب أليكتروني. – شبكة الالحاد العربي على الرابط:https://www.il7ad.org/vb/showthread.php?t=11461

٤٠. شبكة الالحاد العربي على الرابط:https://www.il7ad.org/vb/showthread.php?t=11461

٤١. موقع نور العقل على الرابط:https://nour-alakl.blogspot.com .

٤٢. – Religions are man-made Quran Debate:١٨/أكتوبر/٢٠٢٠، https://thequrandebate.com/